شَبَحُ المَوتْ

كان منذ فترة يستيقظ كل ليلة مفزوعا على صوت والدته، وهى تبكى وتصرخ وتستغيث بجميع البشر، لكن لا أحد يأتى لإنقاذها من وحشية والده، فقد كان كل ليلة يضرب والدته بوحشية مخيفة وكأنه ذئب مفترس ينقض على فريسته بلا رحمة أو لين قلب، فكان يشاهد المنظر فى خوف ورعب بجسد مرتعش، وأنفاس متقطعة وكأن أحدهم أعطاه صدمة كهربائية عنيفة، لكنه بالرغم من ذلك لا يجد مفرا سوى أن يهم لنجدة والدته من ذلك الوحش الكاسر، ويخيل إليه أن يديه الصغيرتين تستطيعان أن تهزمه، وأن ذراعيه القصيرين يستطيعان أن يحضنا والدته فيمنع عنها الضرب، لكن ينتهى به المطاف إلى تلقى أكثر من نصيب والدته من الصفع والركل، وينتهى بوالدته فى نهاية المطاف إلى احتضانه بلا حول ولا قوة.

وبعد انتهاء والده من ذلك الفعل المشين، كان يسير وهو يتخبط فى أثاث الشقة كالذى يتخبطه الشيطان من المس، وما العجيب فى ذلك!! فما المخدرات سوى شيطان رجيم، يظل يوسوس للإنسان حتى يسلبه عقله وصحته، ثم يتسلل إليه ويفسد جميع علاقاته فيصبح الإنسان ليس عدوا لنفسه فحسب، بل عدوا لأقرب أقربائه، و بعد ذلك يرتمى على الأرض غائبا عن الوعى.

وفى الصباح يستيقظ الأب، وكأن شيئا لم يحدث، وكأن الذى كان البارحة ليس هو، بل روح شريرة، أو مسخ مرعب، فيظل يلاعب الصغير ويضاحكه، ومن المفارقة العجيبة أنه كان يحبه كثيرا، بل لا يستطيع العيش بدونه، لكن الصغير كلما رآه اتسعت حدقتا عينيه، وكأنه رأى شبحا مخيفا، فيركض من أمامه ويغلق عليه غرفته.

فقد كان يتساءل دائما من ذلك الشخص الذى يستحيل إليه والده كل ليله؟! من ذلك الحيوان المفترس الذى الذى رزع بداخله الخوف والرعب؟! فبات الخوف منه يأكل روحه، بل باتت روحه تصدر صيحات استغاثة كلما رآه أو اقترب منه.

ظل الصغير فى هذه الليلة مستيقظا، فقد جافاه النوم خوفا من أن يأتى والده، ويعيد نفس السيناريو الذى ينفذه كل ليلة.

وفجأة! سمع صوت الباب يفتح بسرعة، ويغلق بقوة، فقفز من فوق سريره مرعوبا، وذهب إلى باب غرفته، وفتحه فتحة صغيرة، ليراقب من خلالها ما يحدث، فإذا به يرى والده يتلفت حوله هنا وهناك كالمجنون، أو كالذى يطارده ملك الموت فيريد أن ينجو بحياته

إلى أن اختفى من أمامه، وبعد دقائق قليلة سمع صوت الباب يطرق بقوة فتسارعت دقات قلبه، ربما كانت دقات قلبه فى هذه اللحظة أعلى صوتا من طرقات الباب.

لكن من الذى يطرق الباب بهذه الطريقة؟ جال هذا السؤال فى خاطر الصغير.

لكن قبل أن يكتمل تفكيره، فإذا بأشخاص يدفعون الباب بقوة، فقد كانت الشرطة، أمسكوا بوالده، وأخذوا فى تفتش كل ركن فى البيت يفتشون عن شىء يجهله، وبعدما قلبت الشرطة البيت رأسا على عقب، لم تجد شيئا، تركت والده، ورحلت.

لكن الغريب فى الموضوع أن والدته لم تستيقظ، ربما بسبب شدة تأثير مسكنات الألم التى أخذتها.

والمفارقة الغريبة، أن الصغير بعدما ذهبت الشرطة شعر بالسعادة والراحة حيث إن الشرطة ألهت والده عما يفعله كل ليلة، ولأول مرة منذ أيام، نام نوما عميقا.

وفى الصباح استيقظ الأب كعادته، وكأن شيئا لم يكن، وظل ينادى على الصغير، لكنه لم يجب عليه، ذهب إلى غرفته، لكنه لم يجده بها، فأخذ يبحث عنه فى أرجاء المنزل دون فائدة، فاعتقد أنه خرج للعب.

إلى أن ذهب إلى المطبخ، فإذا به يقف متسمرا مصعوقا، فقد وجد ابنه ملقى على الأرض جثة هامده فأخذه فى حضنه، وظل يصرخ فجاءت زوجته مفزوعة، وعندما رأت المنظر ارتمت على الأرض، ليست غائبة عن الوعى، بل غائبة عن الحياة.

ظل الأب يصرخ، ويبكى، ويقول: يالله أنا السبب، أنا المجرم، أنا من قتلت ابنى.

نعم هو المجرم، هو من قتله، حيث إنه البارحة عندما كانت تطارده الشرطة كان بحوزته بعض المخدرات، فلم يجد مكانا يخبئها فيه سوى دورق اللبن، الذى شرب منه الصغير هذا الصباح، وفارق الحياة.

فاتن عبد الرؤوف